



بصري الشام.. مدينة صغيرة في جنوب سوريا، تقع في سهل النقرة الخصيب على أطراف اللجاة الجنوبية، وترتفع عن سطح البحر 850 مترًا، عند تلاقي خط الطول 36 درجة و28 درجة شرق غرينتش مع خط العرض 32 درجة و31 درجة شمال خط الاستواء، وهي مركز للناحية المسماة باسمها.

وتقع هذه المدينة المشهورة بأطلالها وآثارها في سهل النقرة الخصيب على أطراف اللجاة الجنوبية، قرب وادي الزيدي شمالاً ووادي البطم جنوباً، وكانت يوماً عاصمة للأنباط العرب، وقد اغتنم الرومان فرصة وفاة الملك النبطي أربعال الثامن ليضموا المدينة والمقاطعة إلى الإمبراطورية الرومانية عام 106 م ولتصبح مدينة بصرى عاصمة للولاية العربية التابعة للإمبراطورية الرومانية، ثم غدت المدينة مركزاً للكرسي الأسقفي بعد تبني الإمبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية رسمياً.

السكان:

بلغ عدد سكان بصرى الشام 21015 نسمة عام 1996 . ويقيم قسم كبير من السكان في مدينة دمشق، حيث يشتغلون عمالة عاديين أو موظفين في مؤسسات الدولة ودوائرها، كما يعمل قسم منهم في دول الخليج العربي، ولاسيما في السعودية عمالة معلميين وحرفيين.

ويعمل معظم السكان بالزراعة التي هي أهم مورد لهم، وأغلب الفلاحين يستثمرون أرضهم مباشرة بسبب ضآلة الملكية، وتعتمد الزراعة اعتماداً أساسياً على مياه الأمطار. والمحاصيل الزراعية بعلية ومحدودة وأهمها: القمح والشعير والزيتون والعنب، كما يعني الفلاحون بتربية الماشية، ولاسيما البقر والغنم والمعن.

ويقدر عدد الحيوانات عام 1997، بنحو 5500 رأس غنم و600 رأس ماعز و510 رؤوس من البقر، إضافة إلى تربية الدواجن وغيرها.

ويعمل نحو 1000 عامل في مهنة الصناعة، وهي محلية، أهمها النجارة والحدادة والنسيج من البسط والسجاد. كما يبلغ عدد العاملين في الأعمال التجارية الصغيرة نحو 1000 في محل تجارية للأقمشة وللسماكة والحبوب والخضار والفواكه.

وترتبط بصرى الشام بطرق معبدة بكل من مدينة درعا ودمشق والسويداء وصلخد والقرى المجاورة. كما ترتبط مع درعا فدمشق بخط حديدي ضيق.

وفي المدينة عدد من المدارس الابتدائية، إضافة إلى مدارس ثانوية وإعدادية للذكور والإناث ومدرسة ثانوية صناعية.

السكن:

يمتاز البناء في بصرى بكونه من الحجارة البازلتية السوداء بالدرجة الأولى، ولكنه يختلف في أسلوبه بين الجزء القديم والحديث من المدينة:

- بصرى القديمة: وأبنيتها من الحجر البازلتى، أما سقوفها فهي على شكل عقود من الحجر. ويتألف المسكن من أقسام عديدة قسم منه تسكنه العائلة، وقسم آخر لعنابر الحبوب والأدوات الزراعية، يضاف إلى البيت القديم بعض الملحقات للمواشي وتخزين العلف، وتكون هذه ملصقة بالبيت من الجانب الخلفي. وتتعرض هذه البيوتاليوم لعمليات الكشف عن الآثار، كذلك ينقل قسم من حجارة هذه المساكن القديمة لبناء بيوت جديدة خارج المنطقة الأثرية.

- بصرى الجديدة: مساكنها مبعثرة ومتباعدة يغلب عليها الطابع الحديث، وقد استخدم فيها الإسمنت والحديد، كما طور تصميم مخططها أيضاً، واتسعت فيها التوافذ وبنيت الشرفات. وتتوسع البلدة باتجاه الغرب خارج حدود مدينة بصرى القديمة، وباتجاه الجنوب والشرق، مما أدى إلى صعوبة توزيع الخدمات والمرافق بصورة جيدة.

وتعني كلمة «بصرى» في الكتابات السامية القديمة «الحصن»، وكان لموقعها المميز أثره الكبير في مكانتها المرموقة بين مدن الشرق القديم، حيث لعبت دوراً حضارياً وتجارياً مهماً.

من علماء بصرى الشام:

* أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الفرشي البصري ثم الدمشقي حافظ للحديث، مفسر، مؤرخ، فقيه، من أعلام المسلمين في القرن الثامن الهجري ولد سنة سبعينات أو بعدها بيسير، في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل إلى دمشق سنة 706 هـ فنشأ بها وأخذ عن جماعة من شيوخها، ولازم الحافظ المزري، محدث الشام في عصره (742-654 هـ) وسمع عليه أكثر تصانيفه، وصاهره على ابنته، وصاحب شيخ الإسلام ابن تيمية (738-661 هـ) وأخذ عنه وفتن بحبه وامتحن لسببه، توفي بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

* ابن الإمام (1015 هـ - 1606 م) أحمد بن محمد، ابن الإمام البصري، شمس الدين أبو العباس: مؤرخ، نسبته إلى بصرى الشام. له (تحفة الأنام في فضائل الشام)

* **البُصْرَوِي** (1097 - 1170 هـ / 1686 - 1757 م) عبد الله بن زين الدين بن أحمد بن محمد، ابن خليل البصري: فرضي شافعي عاش في دمشق. أصله من بصرى الشام. ولد بالقسطنطينية (إسطنبول) ونشأ واستمر إلى أن توفي بدمشق.

من أهم الجوامع الأثرية الموجودة في المدينة:

الجامع العمري:

يرجع تاريخه إلى بداية العهد الإسلامي، زمن الخليفة عمر بن الخطاب 23هـ/644م. أما المئذنة فقد بنيت بتكليف من الخليفة الأموي يزيد الثاني 105هـ. استمد الجامع العمري مخططه من مخطط الجامع الأموي في دمشق، وهذا المخطط هو تكرار نموذج بيت الصلاة ذي الرواق المستعرض الذي وجد في العمارة الإسلامية المبكرة.

مسجد الخضر:

بناء عز الدين كمشتكين عام 528هـ/1134م ويتبع طراز العمارة المحلي في حوران.

مسجد المبارك:

ويعود تاريخ بنائه إلى بداية العهد الإسلامي. وتشير الروايات إلى أنه بني في المكان الذي بركت فيه الناقة التي حملت أول نسخة من القرآن الكريم إلى بلاد الشام، ولذلك عرفت مدينة بصرى بـ"مدينة القرآن". ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة. وبنيت إلى جانبه المدرسة الدينية لتدريس المذهب الحنفي عام 530هـ/1136م، ويعود أقدم مبنى أثري قائم في سوريا أنشئ ليكون مدرسة دينية.

مسجد فاطمة:

عمارته تعود إلى العصر الأيوبي، في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

مدرسة الدباغة:

يعود تاريخها إلى 626هـ/1225م وشيدت بأمر الملك الأيوبي الصالح إسماعيل صاحب بصرى.

مسجد ياقوت:

يعود تاريخه إلى 655هـ/1257م وبنائه هو شهاب الدين يوسف بن ياقوت والي قلعة بصرى.

أما آخر أثر إسلامي بني في بصرى فهو حمام منجك، وهو يعطي الدليل الواضح على استمرار أهمية المدينة حتى العصور الوسطى المتأخرة وعلى استمرار تطور المرافق العامة فيها، ويعود تاريخه إلى مؤسسه منجك اليوسفي نائب السلطان المملوكي الأشرف شعبان.

إن هذه الإطلالة على الآثار المتنوعة التي تحتوي عليها مدينة بصرى يعطي فكرة واضحة عن أهمية المدينة التاريخي والأدوار العظيمة التي لعبتها في تاريخ الشرق. القديم منه أو في العصور الوسطى والمتاخرة.

وتعتبر المدينة بحد ذاتها أثراً حياً إذ أن أغلب بيوتها قديم ويفلّب عليه الطابع التاريخي: وقد بنيت بيوت المدينة القديمة من الحجر البازلتى، أما سقوفها فهي على شكل عقود من الحجر. ويتألف المسكن من أقسام عديدة، منه لسكن العائلة، ومنه عناير للحبوب وأدوات الزراعة، وملحقات تضاف للبيت للمواشي وتخزين العلف. وتتعرض هذه البيوتاليوم لعمليات الكشف عن الآثار.

أهم آثار بصرى:

درج بصرى:

ويعد المعلم الأكثر أهمية في بلدة بصرى، من حيث الحجم والكمال والسلامة، وهو أيضاً من المسار الرومانية القليلة التي بقيت سليمة تماماً على مستوى العالم، وبدأ إنشاء هذا المعلم العظيم حين اتخذ الإمبراطور الروماني «تراجان» بصرى عاصمة للولاية العربية في إمبراطوريته.

تم تصميم المسرح بأسلوب المسار الرومانية، فهو قائم على أرض مستوية واستدارته نصف دائرة، وكذلك المدرج وباحة الجوقة الموسيقية، ويصل الباحة بالخارج ممران معقودان من اليمين واليسار بالأعمدة الدورية ومنصة التمثيل عريضة وقليلة الارتفاع نسبياً.

وتم تشييد المسرح بالحجر البازلتى المحلي، وبلغ قطره 102 متراً، وطول منصة التمثيل 45.5 متراً ، وعمقها 8.5 متراً، ويبلغ ارتفاع المسرح 22 متراً، وتحتقر المنصة أبواب تؤدي إلى الكواليس، وفي الجدارين الجانبيين حول المنصة شرفات كان يجلس عليها حاكم الولاية وكبار الرسميين والزوار. ووراء الجدار الغربى للمنصة باحة مكشوفة للاستراحة. وفي المدرج 37 صفاً من المقاعد المتصلة منها ما هو مخصص للشيخوخة وأخر للفرسان والطبة الوسطى ثم ممر تلية 5 صفوف للعامة متوجة برواق تحمل سقفه أعمدة تدور بالمدرج كله وتتصل بصف الأعمدة حول باحة الجوقة. وتوصل إلى المستويات الثلاثة أدراج صاعدة تحت ممرات معقودة تسمح بالدخول والخروج بدقة.

وذكر أن هذا المسرح كان يتسع بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف مشاهد. وكان المشاهدون يرون ويسمعون بوضوح كل ما يجري في باحة العرض.

وقد تحول هذا المسرح إلى قلعة (قلعة بصرى) بدءاً من العصر الأموي حيث سدت جميع أبوابه الخارجية وتركت له منفذ صغيرة فأصبح بمثابة حصن كان معروفاً في زمن العباسيين باسم ملعب الروم. وفي العصر الفاطمي بنيت ثلاثة أبراج ملاصقة للجدار الخارجي الشرقي والغربي والشمالي.

وفي زمن الحروب الصليبية بني الملك العادل الأيوبى وأولاده في القرن الثالث عشر الميلادى تسعه أبراج محيطية ومستودعات ضخمة وخزان مياه، ليصبح المكان قلعة تامة.

وأحيطت هذه القلعة بخندق وتم حصر الدخول إليها بمدخل واحد. يتم الوصول إليه عبر جسر خشبي متحرك بالسلسل. قامت أعمال الترميم والتنقيب بين عامي 1946 و 1970 بإزالة المنشآت الضخمة فوق المدرج والمنصة وإزالة الأنماض والأترية وأعادت للمسرح جدته ورونقه القديم حيث يستخدم اليوم للاحفلات والمناسبات الفنية والثقافية، كما تقام فيه فعاليات «مهرجان بصرى السنوى».

باب المدينة (باب الهوى)

ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني بعد الميلاد، ويتألف من عقدين متداخلين ويستندان إلى ركائز مزينة بمحاريب. ويبلغ عرض المدخل 5 أمتار، وعرض الواجهة 10 أمتار.

القوس المركزي:

ويعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادى، ويتألف من ثلاثة أقواس أعلىها القوس الوسطى ويبلغ ارتفاعها ثلاثة عشر متراً، وقد أقيم البناء لذكرى انتصار يوليوبس يوليانيوس، قائد الفرقة البارثية الأولى المنسوبة إلى فيليب العربي، وأمام هذا القوس كانت تقدم الأضاحي المخصصة للطقوس الدينية.

المعسكل:

بني في بداية القرن الثاني الميلادى، وعثر على بوابته الرئيسية وتتألف من برجين مدخل محسن ويبلغ طول سوره الشرقي 400 متر والسور الشمالي 440 متر، وأقامت فيه التشكيلات العسكرية الرومانية، مثل الفرقة الرومانية الثالثة

السوق تحت الأرض:

يعود تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد ويبلغ طول القسم المكتشف 106 أمتار بعرض خمسة أمتار وارتفاع أربعة أمتار، تضاء بأربع وثلاثين نافذة في القسم الجنوبي، وتحت النوافذ أقيمت عدد من المحاريب المستطيلة لتزيين جدار المبنى، وقد استخدم البناء مخزناً للبضائع.

معبد الحوريات:

ويعود إلى القرن الثاني الميلادي ويتألف من أربعة أعمدة منحوتة على الطراز الكورنثي وترتفع إلى علو أربعة عشر متراً وقطر متراً وعشرين سنتمراً.

(الكليبة (سرير بنت الملك)

وهو معبدوثني أقيم لحفظ نذور الضباط وأوسمتهم، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث الميلادي رقم وجود عناصر معمارية تعود إلى بناء أقدم.

السوق الرئيسية:

وهي سوق المدينة القديمة وتعرض فيها صناعات المنطقة ومحصولاتها ويبلغ طولها سبعين متراً وعرضها عشرين، وواجهتها الحالية مزينة بمحاريب وتبزر على جوانبها حجارة أعدت لحمل التمايل.

الباب النبطي:

ويتألف أساساً من قوس رئيسي مزينة بممرات وأعمدة نصفية تعلوها تيجان منحوتة على الطراز النبطي، وإلى الشرق منه عمود نصفي يعلوه تاج نبطي وهو الوحيد من نوعه.

الحمامات الرومانية:

يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، ويوجد في بصرى ثلاثة حمامات كبيرة، الأول يقع جنوبى المدينة بين المسرح والشارع المستقيم، وتمتد بقایا الحمامات المركزية إلى الجانب الغربي من السور، ويدخل إلى الحمام من بابين رئيسيين إلى صالة واسعة معدة لخلع الملابس وحفظها، وتبلغ أطوالها (150) متر، وينفذ من هذه الصالة إلى داخل الحمام عبر غرفة الماء البارد، وهي قاعة واسعة تؤدي إلى صالة المياه الدافئة أكبر صالات الحمام، ومن ثم إلى صالة المياه الحارة. وكان الماء يندفع من خلال قساطل من الفخار تدخل في أقبية معدة في الجدران. وفي عام 1993 تم الكشف عن استراحة الحمام الشرقية، وتم تركيب 14 عمود على الطراز الإيوني، وهناك دراسة وعمليات رفع لتأريخ الحالة النهائية للحمامات.

البركة الشرقية:

وهي خزان للمياه مربع الشكل تقرباً بعمق 6 أمتار وضلع جنوبى 114 متر وشرقى 112 متراً ويستدل من الأحرف المحفورة عليها أن تاريخها يعود إلى عهد الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد.

الميدان:

يقع جنوب المدرج، ويعود إلى العصر الروماني، وهو بناء مستطيل مغلق من الجنوب ومفتوح من الشمال يبلغ طوله 680 متراً وعرضه 100 متر، ويبعد أنه كان معداً لسباق الخيل.

بركة الحاج:

وهي أكبر من البركة الشرقية، ويبلغ طول ضلعها 155 متراً، و 122 متراً واستخدمت في العهد الأيوبي لسقاية قوافل الحاج وتزويد الخندق والقلعة بالمياه الازمة.

أسوار المدينة:

وتعود إلى العهد النبطي، وهي ما تزال قائمة في بعض أطراف المدينة في الجهة الشمالية الغربية والشرقية، وبعض أقسام

الناحية الجنوبية، مما يسمح بتعيين حدود المدينة.

دير الراهب بحيرا:

يعد أقدم كنيسة في المدينة، ويعود إلى القرن الرابع الميلادي وهي ذات أسلوب بناء مختلف عن بقية الكنائس، وأجمل ما فيها المنبج وقوسه الشاهقة بيضوية الشكل.

الكاتدرائية:

يعود تاريخها إلى عام 512-513 م وموقفة للقديسين سرجيوس وبخوس وتيونتوس، وهي أول كنيسة بنيت على شكل مربع تقريباً تعلوه قبة. ومقاييس جدرانها 49 متراً عرضاً و27 متراً طولاً، ومزينة من الداخل والخارج بمحاريب. ويتألف هيكلها من ثلاث حنيات، وعلى جدرانها صور ملونة تمثل رسوماً للعذراء وثلاثة قدисين يحيطون بها.

الكنيسة الكبرى:

أظهرت الأعمال أن هذه الكنيسة بنيت على أنقاض معبد نبطي استخدم قسم من حجارته في بنائها. وتم الكشف عن أجزاء مهمة منها وعن مجموعة لبناء ضخم تتألف من عدة تيجان وركائز أعيد استخدامها في البناء. وظهرت الحنية الكبرى للكنيسة في الشرق وهناك حنيات أصغر منها، وأرضيتها من البلاط البازلتى وعلى عمق متر واحد أرضية من الفسيفساء.

تحرير المدينة من عصابات الأسد وميليشيا إيران:

أعلنت القيادة العسكرية الموحدة في بصرى الشام بدء معركة "قادسية بصرى الشام" بتاريخ 21 مارس/آذار 2015 ، بهدف تحرير المدينة من الاحتلال الأسدى الإيراني ووقف تدفق عناصر حزب "الله" والحرس الثورى الإيراني إلى المدينة. وخلال خمسة أيام أنهت المعركة بانتصار ساحق حررت فيها مدينة بصرى وبعض القرى التابعة لها، بما فيها قلعة بصرى الأثرية التي استخدمتها قوات الأسد كثكنة عسكرية واحتلتها الإيراني الذي أذاق أهالى بصرى الأمرىء، والذي تم استهدافه وقتلها أثناء معركة التحرير.

وبذلك يعود للمدينة ألقها وبريقها بعد أن ذاقت عقوداً من الذل تحت حكم نظام الأسد.

1- الموسوعة العربية

2- اكتشف سوريا

3- ويكيبيديا الموسوعة الحرة

4- المكتبة الشاملة

المصادر: